|  |  |
| --- | --- |
| |  | | --- | | **آفة العصر الربا**  **د. آندي حجازي**  **كاتبة أردنية**  **الإسلام دين عظيم يختار للإنسان ما فيه خيره، وحينما يحرم شيئا يكون لأسباب منطقية لمصلحة البشر، وقد أحل الله البيع وحرم الربا، وسيتضح تاليا بعض فوائد تحريمه. والربا تعني الزيادة والمضاعفة.**  **والربا نوعان:**  **ربا النسيئة: وهي الزيادة المشروطة التي يأخذها الدائن من المدين نظير التأجيل، وهي محرمة بالكتاب والسنة والإجماع. وهي الربا الجلي (الواضح)، وهي التي كانوا يفعلونها في الجاهلية، فعندما يأتي السداد يقول له: تقضي أم تربي؟ وكلما أخره زاد في المال المقترض حتى تصير المائة آلافا.**  **وربا الفضل: وهي بيع النقد بالنقد والطعام بالطعام مع الزيادة في أحد البدلين. فتحريمه من باب سد الذرائع كما صرح به حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي  " صلى الله عليه وسلم"  قال: «لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فإني أخاف عليكم الرماء» والرماء هو الربا؛ فمنعهم من ربا الفضل لما يخافه عليهم من ربا النسيئة وهي من صور الربا الخفي، فيأتي على الناس زمان لا يسلم فيه أحد من الربا إلا من رحم ربي.**  **ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي  " صلى الله عليه وسلم"  قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». (صحيح البخاري).**  **وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: «لعن رسول الله  " صلى الله عليه وسلم"  آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه». (رواه مسلم).**  **من عواقب الربا:**  **حرم الله تعالى الربا وتوعد وعيدا كبيرا لآكلها، وذكر عواقب خطيرة يوم القيا التخبط يوم البعث:**  **فالمتعامل بالربا يقوم يوم القيامة يتخبط من قبره كالذي أصيب بمس من الشيطان، أو الجنون، أو الصرع، فلا يدري أين يتجه ولا كيف يسير على نفسه، قال الله تعالى: {لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}، وهل هناك أصعب من هذا الموقف والمصير يوم الحساب؟**  **المحق للمال وكالبركة**  **وقد توعد الله تعالى الربا بمحقها وهي هلاكها واستئصالها عن بكرة أبيها، ليس الربا فقط بل ورأس المال الذي استحق عليها الربا، فيذهب المال ولا ينتفع به ولا يستمتع به، وكم سمعنا عن قصص لأناس أخذوا قروضا ربوية حتى وصل بهم الحال لإعلان إفلاسهم! فمحقت أموالهم محقا وأكلت الربا الأخضر واليابس، قال تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ  وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ } (276: البقرة).**  **الحرب من الله تعالى:**  **هدد الله تعالى بغضب شديد لمن يتعامل بالربا ويتحدى الله في ذلك، وفي تجاوز حدوده كأنه يحارب الله تعالى ومنهجه وشرعه القويم؛ ولذا توعد الله تعالى المرابي بحرب شديدة قد تأكل ماله أو صحته أو سمعته أو ولده وأغلى ما يملك، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ  وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279)} (البقرة:278- 279). وهل أهلك الله تعالى قوم شعيب إلا لأنهم كانوا يطففون الميزان والمكيال ويحتالون على الناس، ولا يراعون حقوقهم وحاجاتهم. وقد لعن النبي  " صلى الله عليه وسلم"  آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، وقال: «ما ظهر الزنى والربا في قرية إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله».**   **< الخلود في النار:**  **نهى الله تعالى عن التعامل بالربا، وفتح باب التوبة منه وعدم العودة إليه، كما يتضح من الآية التالية: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ  ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا  وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا  فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ  وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ  هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة: 275)، ولكنه توعد بالخلود في النار لمن عاد إلى التعامل بالربا ولم يتب في أول مرة توبة نصوحا، بل عاد تهاونا وكفرا واجتراء على شرع الله تعالى، فاستحق العقوبة من الله تعالى بالخلود في النار، وهي أصعب عقوبة أو عاقبة يصل إليها الإنسان، فأمر التعامل بالربا جد خطير ولا يمكن التهاون به أبدا كما يحدث اليوم، حين يقول أحدهم لا خيار أمامي غير أخذ قرض ربوي!**  **لماذا الربا ضار ومحرم؟**  **قد يعتقد الإنسان للوهلة الأولى أن الربا أمر بسيط وبه مساعدة للمحتاج لسد حاجته وديونه، ولكن عند المراقبة والتحليل لما يحدث في أرض الواقع تكتشف أضرار الربا الجسيمة على الفرد والمجتمع: والتي منها:**   **انتشار البطالة:**  **فأصحاب الأموال يفضلون الحصول على الأموال بالربا، ويفضلون ذلك أكثر من استثمارها في إقامة مشروعات صناعية أو زراعية أو تجارية، ما يقلل من فرص العمل، فتنتشر البطالة، وهذا ما يحدث في المجتمعات التي يسودها التعامل الربوي، ولذا نجد الدول الغربية أضحت تعاني من مشكلة البطالة رغم تقدمها العلمي والتقني والصناعي. ويؤثر إعراض الناس عن استثمار أموالهم في المشروعات المختلفة على نمو رأس مال المجتمع.**  **الربا يقلل إنشاء المشروعات المنتجة:**  **الربا يعني أن المال يولّد المال من دون الدخول في الأعمال الإنتاجية أو الاستثمارية، فالمرابي يبحث عن الربح دونما تعب أو عمل، بل بإقراض ماله وانتظار العوائد الربوية كما تفعل البنوك وملاكها، ما يعني تعطيل جهود فئة كبيرة من المجتمع، وبالمقابل فإن العمل ينتج المال، ما يعني أن صاحب العمل استفاد وكذلك المجتمع استفاد من خلال ما ينتج، فإذا طرحت هذه المواد أو المنتجات والخدمات انخفضت الأسعار، لأن توافر المواد يخفض سعرها، وإذا انخفض السعر اتسعت شريحة المستفيدين وبالتالي يعم الرخاء، أما إذا ارتفعت الأسعار فالبضائع تتكدس في المستودعات مما يؤدي إلى انخفاض الإنتاج، والاستغناء عن العمال فتزداد البطالة.**  **يقول الرازي: (حرم الربا من حيث إنه يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا كان أو نسيئة، خف عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والعمارات) (تفسير الرازي ص: 87).**  **الطبقية في المجتمع:**  **فمن خلال انتشار الربا ينقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة تملك المال وترابي به ولا تعمل (عاطلة عن العمل وهي طبقة المرابين) وتستغل حاجة الطبقات الأخرى وأفراد المجتمع وعامة الشعب، وهي الطبقة الثرية المترفة في المجتمع القائم على الرأسمالية والربا، وطبقة تعمل ليل نهار ولا تملك المال، وتبذل كل جهدها ولا يكفيها قوت يومها، وهي غالبية المجتمع.**  **فالمجتمع الذي يتعامل بالربا يصبح مجتمعا مفككا، لا يتساعد أفراده فيما بينهم، تعمه الطبقية، فالطبقات الغنية هي المسيطرة والمتحكمة وهي قليلة، بينما غالبية المجتمع من الطبقات المعدمة، فتتوسع الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين أبناء المجتمع الواحد، وهذا مجتمع لا استتباب لأمنه، مائل إلى التفكك والمعاناة الاجتماعية والاقتصادية. والمرابي فيه طبع على البخل، وضيق اليد، وتحجر القلب، والعبودية للمال، والتكالب على المادة والدنيا.**  **غلاء الأسعار وحدوث التضخم:**  **ما يحدث في العالم اليوم من غلاء الأسعار، يرجع سببه في أغلبه إلى النظام الربوي السائد اليوم، فصاحب المال لا يقبل أن يبيع سلعته أو الشيء الذي أنتجه إلا بربح أكثر من نسبة الربا، لئلا يقع في الخسارة، فلا بد أن تكون نسبة الربح أكثر من نسبة الفائدة ليقدر على سدادها، وكلما زادت نسبة الربا غلت الأسعار. وإذا كان المنتج أو التاجر ممن يقترض بالربا، فلابد له من رفع أسعار منتجاته وسلعته حيث سيضيف إلى نفقاته ما يدفعه ربا، فمثلا يلزمه أن تكون نسبة الربح أكثر من (20%) إذا كان سعر الفائدة الخالص (5 %)، ولا يقف الأمر عند غلاء الأسعار، بل يحدث اضطراب في حياة الناس حيث لا يتمكنون من شراء حاجاتهم الأساسية بسبب غلاء الأسعار.**  **وهنا يحدث التضخم في البلد وهو اتجاه صعودي في الأثمان بسبب وجود طلب زائد أو مرتفع، فالمرابي بما يقرضه من فائدة مرتفعة (كبعض البنوك) يجبر أصحاب السلع والخدمات على رفع أثمان هذه السلع والخدمات، فتتكدس السلع وتزداد البطالة ويزيد العرض على الطلب وتحدث البطالة والتضخم، ولا شك أن التضخم يسيء إلى الناس كثيرا وخاصة أصحاب الدخول النقدية المحدودة والثابتة كالموظفين والعمال، فتنخفض دخولهم الحقيقية، فتحدث المشاكل والأزمات الاقتصادية في المجتمع، ويعاني الناس من سوء في الأوضاع المالية، وتصبح الحكومات تتجه لسياسات التقشف وزيادة القروض الدولية، ما يزيد من الفوائد الربوية وتفاقم المشكلات بدلا من حلها.**   **الركود والكساد العالمي والمحلي:**  **عندما ترتفع أثمان الأشياء ارتفاعا كبيرا فإن الناس يقل إقبالهم على السلع والخدمات المرتفعة الأثمان، إما لعدم قدرتهم على دفع أثمانها، أو لأنها ترهق ميزانيتهم، وإذا امتنع الناس عن الشراء كسدت البضائع في المخازن والأسواق، وعندها تقوم المصانع بتقليل إنتاجها لخوف الخسائر، وقد تتوقف عنه والاستغناء عن جزء كبير من موظفيها لتخفيض نفقاتها، أو قد تستغني عن جميع عمالها وموظفيها إذا توقف الإنتاج كما حدث للكثير من شركات السيارات في الولايات المتحدة عام 2008م، وإذا علم المرابون بما يصيب السوق من زعزعة فإنهم يقبضون أيديهم، ويسحبون أموالهم فورا من البنوك والشركات، فعند ذلك تكون الهزات الاقتصادية.**  **وعلى سبيل المثال أظهرت إحصاءات رسمية أذيعت في بون في ألمانيا أن عددا قياسيا من شركات ألمانيا الغربية قد أفلست وأغلقت في عام 1982م بسبب الكساد والركود الاقتصادي وأسعار الفائدة المرتفعة ونقص رأس المال الاستثماري. فالربا يحدث خللا في الجانب الاقتصادي، وما حدث في الولايات المتحدة عام 2008م هو بنفس الطريقة لما حدث في ألمانيا وغيرها.**  **< استثمار المال فيما حرمه الله تعالى:**  **المشكلة أن المرابي يبحث عن الربح الأكثر وعمن يوفر له الربح الوفير دونما تعب أو دونما تفكير في نوعية المشاريع التي تدر عليه المال، فهو منذ البداية لا يخاف الله ولا يضع المنهج الديني شريكا له في حياته، فهو لا يتقي الله ولا يبحث عن مشروعات مفيدة للمجتمع ليستثمر ماله فيها، بل هو يوظف ماله في المشروعات الأكثر إدرارا للربح، فتجده مثلا يستثمر أمواله في المشاريع الفاسدة أخلاقيا كنوادي القمار والعهر والفسق، لأنها قد تعطي فوائد أكثر من المشروعات الصناعية والتجارية، وهذا ما يحدث فعلا في المجتمعات الغربية.**  **تعطيل أموال ألمسلمين**  **نتيجة لوضعها في أيدي أعدائهم، وهو من أخطر ما أصيب به المسلمون، حيث أودعوا أموالهم في البنوك الربوية في دول الغرب، فجرد المسلمون من أموالهم والاستفادة منها، فاستفادوا منها وطوروا دولهم وعاشوا الرفاهية الاقتصادية، وعانى غيرهم الفقر والعوز، خاصة مع تعطيل فريضة الزكاة والاعتماد على العوائد الربوية من تلك الودائع البنكية في بنوك الدول الأجنبية.**  **دول خرجت من بوتقة الربا:**  **هناك دول كدول شرق آسيا مثل الصين وسنغفورة وإندونسيا وماليزيا، رفضت التعامل بالقروض الربوية على مستوى الدولة، ولم تأخذ قروضا من صندوق النقد الدولي وغيره، وأوجدت لها طرقا بديلة، كالتعامل مع البنوك الإسلامية وبالطرق الإسلامية المباحة، وحتى الصين الأكبر من حيث عدد السكان اعتمدت على الاسثمارات الكبيرة والصناعة، فاعتمدت على نفسها وليس على القروض والعوائد الربوية، فنجحت الصين في ذلك، فالربا عندها محرم بالرغم من أنها دولة غير مسلمة لكنها أدركت كيف أن للقروض الربوية عواقب وخيمة على الدول والأفراد. وفي المقابل انهار أو تدهور اقتصاد بعض الدول كبرى في عام 2008م، وبعض دول أوروبا نتيجة لارتفاع نسبة الفائدة والفوائد الربوية التي عجزت عن تسديدها، فاتجهت بعض هذه الدول لتبني الطرق الإسلامية في التمويل والاستثمار بعد نجاحها في بعض الدول العربية والإسلامية.**  **ولا حل اليوم سوى بالرجوع لأحكام ومنهج الدين الإسلامي القويم، والتخلص من الربا والعودة لدفع الزكاة، وتخصيص جهات معينة تعين على تحصيل أموال الزكاة وصرفها في مصارفها، وتشجيع الاستثمار للأموال في المشاريع الاستثمارية والصناعية، وتشجيع التأمين التعاوني والجمعيات التعاونية الخيرية. ولابد من أسلمة الاقتصاد، والتخلص من الربا في جميع مؤسساتنا العامة والخاصة، وإيجاد الحلول والبدائل الشرعية الناجحة والمربحة التي تغني عن الاستمرار على الربا واستمرائه، وتوجيه المؤسسات المالية المختصة، كمؤسسات النقد، وهيئات سوق المال للعمل بالصيغ الشرعية، ولابد من الاستفادة من تجارب الدول التي خرجت من بوتقة البنوك الربوية وتحكمها، فالحل دوما في منهج الله وفي تقواه.** | |